

تفسير البحر المحيط

@ 9 @ ذلك قياساً { فَاِذْ اِجَاءَ وَوَعَدُ اُولٰٓئِهٖمْ } أي موعد أولاهما لأن الوعد قد سبق ذلك والموعود هو العقاب . وقال الزمخشري : معناه وعد عقاب أولاهما . وقيل : الوعد بمعنى الوعيد . وقيل : بمعنى الموعد الذي يراد به الوقت ، والضمير في أولاهما عائد على المرتين . .

وقرأ الجمهور { عَيَّادًا } وقرأ الحسن وزيد بن علي عبيداً . قال ابن غزاهم وقتادة جالوت من أهل الجزيرة . وقال ابن جبير وابن إسحاق غزاهم سنجاريب وجنوده ملك بابل . وقيل بختنصر ، وروي أنه دخل قبل في جيش من الفرس وهو حامل يسير في مطبخ الملك ، فاطلع من جور بني إسرائيل على ما لم يعلمه الفرس لأنه كان يداخلهم ، فلما انصرف الجيش ذكر ذلك للملك الأعظم ، فلما كان بعد مدة جعله الملك رئيس جيش وبعثه وخرّب بيت المقدس وقتلهم أجلاهم ثم انصرف فوجد الملك قد مات فملك موضعه ، واستمرت حاله حتى ملك الأرض بعد ذلك . وقيل هم العمالقة وكان كفاراً . وقيل كان المبعوثون قوماً مؤمنين بعثهم الله وأمرهم بغزو بني إسرائيل والبعث هنا الإرسال والتسليط . وقال الزمخشري : معناه خلى بينهم وبين ما فعلوه ولم يمنعهم على أن الله عز وجل أسند بعث الكفرة إلى نفسه فهو كقوله : { وَكَذٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّٰلِمِيْنَ بَعْضًا بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ } وكقول الداعي : وخالف بين كلمتهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد إليهم ، فتخريب المسجدة وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم انتهى . وفي قوله خلى بينهم وبين ما فعلوا دسيسة الاعتزال . .

وقال ابن عطية : { بَعَثْتُهُمْ } يحتمل أن يكون الله أرسل إلى ملك تلك الأمة رسولاً بأمره بغزو بني إسرائيل فتكون البعثة بأمر ، ويحتمل أن يكون عبر بالبعث عما ألقى في نفس الملك أي غزاهم انتهى . { اُولٰٓئِهٖمْ } أي قتال وحرب شديد لقوتهم ونجدتهم وكثرة عددهم وعددهم . وقرأ الجمهور { فَجَاسُوا } بالجيم . وقرأ أبو السمال وطلحة فحاسوا بالحاء المهملة . وقرء فتجوسوا على وزن تكسروا بالجيم . وقرأ الحسن { خَلَّلَ الدِّيَارَ } واحداً ويجمع على خلل كجبل وجبال ، ويجوز أن يكون خلال مفرداً كالخلل وهو وسط الديار وما بينها ، والجمهور على أنه في هذه البعثة الأولى خرب بيت المقدس ووقع القتل فيهم والجلد والأسر . وعن ابن عباس ومجاهد : أنه حين غزوا جاس الغازون خلال الديار ولم يكن قتل ولا قتال في بني إسرائيل ، وانصرفت عنهم الجيوش . والضمير في { وَكَانَ } عائداً على وعد أولاهما . قال الزمخشري : وكان وعد العقاب وعداً لا بد أن يفعل انتهى .

وقيل يعود على الجيوش { ثُمَّ رَدَدَ نَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ } هذا إخبار من
البنى إسرائيل في التوراة ، وجعل { رَدَدَ نَا } موضع نرد إذ وقت إخبارهم لم يقع الأمر
بعد لكنه لما كان وعدا في غاية الثقة أنه يقع عبر عن مستقبله بالماضي ، والكرة
الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليهم حتى تابوا ورجعوا عن الفساد ملكوا بيت المقدس
قبل الكرة قبل بختنصر واستبقاء بني إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم ، وذكر
في سبب ذلك أن ملكاً غزا أهل بابل وكان بختنصر قد قتل من بني إسرائيل أربعين ألفاً ممن
يقرأ التوراة وأبقى بقيته عندهم ببابل في الدل ، فلما غزاهم ذلك الملك وغلب على بابل
تزوج امرأة من بني إسرائيل فطلبت منه أن يرد بني إسرائيل إلى بيت المقدس ففعل ، وبعد
مدة قامت فيهم الأنبياء فرجعوا إلى أحسن ما كانوا . وقيل : الكرة تقوية طالوت حتى حارب
جالوت ونصر داود على قتل جالوت . وقال قتادة : كانوا أكثر شراً في زمان داود عليه
السلام . وانتصب { نَفِيرًا } على التمييز . فقيل : النفير والنافر واحد وأصله من ينفر
مع الرجل من عشيرته وأهل بيته قاله أبو مسلم . وقال الزجاج : يجوز أن يكون جمع نفر
ككلب وكليب وعبد وعبيد ، وهم المجتمعون للمصير إلى الأعداء . وقيل : النفير مصدر أي
أكثر خروجاً إلى الغزو كما في قول الشاعر : % (فأكرم بقحطان من والد % .
وحمير أكرم بقوم نفيراً .

%)